



سلسلة المغامرين الـ ١٣

المهمة السرية

دار النفائس

محمد عبد الحميد الطرزي



المهـمّة السريّـة

بسم الله الرحمن الرحيم

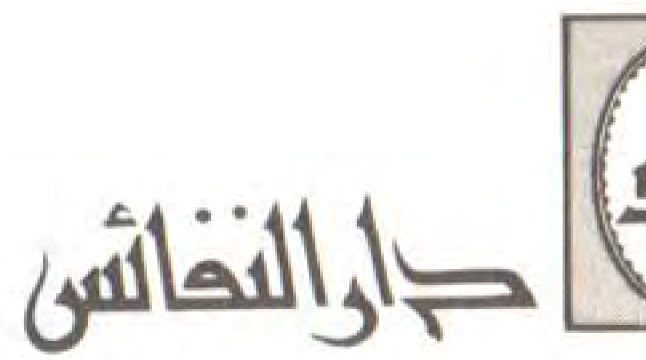
سلسلة المغامرين الـ ١٣

المهمّة السريّة

تأليف

محمّد عبد الحميد الطرزي

دار النفائس



للطباعة والنشر والتوزيع
شارع فردان ـ بناية الصباح
وصفي الدين ـ ص . ب ١٤/٥١٥٢
برقياً : دانفايسكو ـ ت ٨١٠١٩٤
أو ٨٦١٣٦٧ بيروت ـ لبنان

الطبعة الثانية : ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م

مفاجأة على الشاطىء

كانت أمسية جميلة من أمسيات الربيع ، حيث تفتح كل الكون ليستمتع الإنسان بأيامه الجميلة . . وكانوا جميعاً في رحلة استجمام على الشاطىء الجميل . .

بعضهم استلقى على الرمال ينعم بأشعة الشمس ، بينما انصرف آخرون إلى ممارسة كرة المضرب .

قالت فتنة :

ـ أرى الجميع في سعادة بالرحلة إلا جعفراً . . ألم تلاحظي أنه دائم التبرم ؟ . تواق للعودة إلى المخبأ . .

أجابتها وسيلة :

ـ كأننا بعيدون عنه عدة أميال . . ولكن حقيقة ماذا به ؟

انضم اليهما مازن ، والماء يقطر من جسده ، فقد خرج لتوه من

البحر ، حيث سبح مسافة طويلة . . وقال ، وهو يستلقى على الرمال لاهثاً :

- ما أجمل الماء . . وددت لو سبحت وسبحت إلى ما لا نهاية .

ضحك فيصل وهو منكفىء على وجهه على الرمال ، معرضاً ظهره لأشعة الشمس ، وقال :

- وبذلك يتحتم علينا أن نجوب البحار السبعة بحثاً عن قبرك . .

ضربه مازن بقبضة من الرمال مازحاً . . وقال :

- صدقني يا فيصل . . إن أجمل ما في الحياة كلها هو الماء ، والسباحة فيه خاصة في مثل هذه الأيام .

وسكت برهة ونظر حوله فلمح جعفراً، في مكانه البعيد ، جالساً يتأمل البحر بشرود وحزن .

قال مازن باهتمام :

- ما قصة جعفر ؟. إنه كئيب دائم الشرود ، وأصبح يميل إلى الوحدة . . إنه يعاني من أمر لا نعرفه .

قالت نهلة :

- الواجب أن نبذل كل جهدنا لنعرف . . لقد طال به الأمر أسبوعاً كاملاً منذ تولته هذهالحالة الغريبة .

وصل سامح بدوره ، وقبل أن يستلقي ، إلى جوار مازن ، سمع

كلمات نهلة فجمد في مكانه برهة ، ثم واصل سيره ، دون أن ينطق بكلمة ، حتى وصل إلى حيث يجلس جعفر ، وجلس على الرمال بجانبه وقال :

- لماذا لم تسبح اليوم ؟ كان البحر رائعاً . .

واستلقى سامح دون أن يبدي أي ملحوظة عن تصرفات جعفر المفاجئة . . ولما لم يسمع إجابته أو تعليقه على ما قال تابع قائلاً :

- جعفر . ؟

التفت اليه جعفر ، وقال :

- نعم يا سامح . .

كان صوته يحمل هماً دفيناً زاد من دهشة سامح فسأله بالصراحة السائدة بينهما :

- ماذا بك يا جعفر ؟. ظننت الأمر في البداية مجرد نوبة كآبة تنتابنا كلنا ، في بعض الأحيان ، نتيجة الحنين إلى الأهل والوطن ، لذلك لم أتدخل وأسالك . . ولكن مضى عليك أسبوع كامل وأنت على هذا الحال . . ماذا بك يا صديقي ؟. هل بيننا أسرار أو خفايا ؟.

أطرق جعفر برأسه ، وازداد الألم وضوحاً على ملامحه السمراء ، ثم قال بصوت أجش هادىء :

- إنه أمر محيّر يا سامح . . أمر محيّر . .

بدت الدهشة على وجه سامح وسأله باستغراب :

ـ ما هو هذا الأمر . ؟ تكلم يا جعفر . . ما هذا الأمر الذي يحيرك؟ صارحنا به ، وكما تعودنا لن نعجز عن الوصول إلى الحل الذي يزيل حيرتك هذه . .

لزم جعفر الصمت لحظات ثم قال :

ـ منذ عدة سنوات حضرت إلى هنا . وطوال هذه المدة لم أحلم بشقيقتي بهية مرة واحدة .

بوغت سامح بالإجابة ، التي لم يكن ينتظرها ، فقال مكذباً سمعه :

ـ تحلم . ؟ وماذا في ذلك ؟ . كلنا نسينا هذه الأحلام .

هز جعفر رأسه بحيرة وقال :

ـ وأنا كنت مثلكم ، حتى كان الاسبوع قبل الماضي .

وحدق في عينيه بنظرة شاردة حزينة وقال :

ـ أسبوع كامل . . كل ليلة تحضر بهية لزيارتي . . وهي متزينة بردائها الأبيض، الذي لم تخلعه في الليالي السبع المتتالية .

بدأ الحديث الغريب يستولي على اهتمام سامح فقال :

ـ مصادفة غريبة حقاً . . أكمل يا جعفر . .

أجابه جعفر بحزن :

ـ كانت تشكو من أمر ما وتبكي وتطلب مساعدتي . . ولا أدري

كيف وقفت في مكاني ولم أمد يدي لمساعدتها مع رغبتي الشديدة في تقديم هذه المساعدة . .

لم يسخر منه كما كان يتوقع بل أجابه بهدوء :

ـ جعفر . . هل تحتفظ بصورة لشقيقتك . ؟

أجابه جعفر بهزة إيجاب من رأسه وقال :

ـ نعم وهي لا تفارق جيبي أبداً . . إنها في حافظتي .

سكت سامح برهة ثم عاد يسأله :

ـ وهل يقع بصرك على الصورة كلما أخرجت حافظتك ؟ .

نظر إليه جعفر باستغراب وقال :

ـ لا . . إنها في جيب صغير . . ولكن لماذا ؟ .

قال سامح بهدوء :

ـ أجبني أولاً ، وبعدها سأوضح لك كل شيء . . هل وقع بصرك عليها مؤخراً ؟ . أعني قبل أن تبدأ في زياراتها الليلية هذه . .

فكر جعفر برهة ثم قال :

ـ نعم . . نعم . . أذكر أنني أخرجتها مرة أو مرتين ، في فترات مختلفة ، بدافع من ذلك الحنين ، الذي تحدثت عنه ونحس به جميعاً حيال الأهل والوطن .

تنهد سامح بارتياح وقال :

ـ وإن كنت لا أنتحل لنفسي صفة العالم ، في مثل هذه الأمور الغامضة المعقدة ، إلا أنني أستطيع القول بأن هذا الحنين ورؤيتك لصورة شقيقتك ، على غير العادة ولمرتين متتاليتين ، هما السبب المباشر لهذه الأحلام الغامضة . .

هز جعفر رأسه بحيرة وقال :

ـ محتمل جداً يا سامح . . إنني لا أبحث عن سبب رؤيتي ما رأيت في أحلامي . . إنه أمر لن أبحث عنه أو أفكر فيه . فقط أريد أن أعلم ماذا كان بها ؟ . عن أي شيء كانت تتحدث ؟ ولماذا كانت حزينة باكية ؟ كنت كلما استيقظت وفكرت محاولاً التذكر ، فشلت في ذلك تماماً ولا أتذكر إلا صورتها الحزينة الباكية .

تضاحك سامح وقال بمرح :

ـ على أي حال . . الأمر بسيط . . هناك علماء متخصصون في هذه الأمور ، ولن يصعب علينا العثور على واحد منهم ، وتطرح عليه مشكلتك . . والآن . . دعنا ننضم إلى الرفاق فإنهم جميعاً شديدو الحزن وقلقون لحالتك هذه . .

نظر جعفر ناحيتهم باسماً وقال :

ـ وما الغرابة في أن يفعلوا . . ألم يصبحوا كل أهلي في هذه الدنيا . . هيا بنا إليهم . .

نظر إليه سامح بإعجاب وقال بهدوء :

ـ أنت رائع يا جعفر . . بربي إنني أزداد إعجاباً بك يوماً بعد يوم ، فما قُدّرت درجات الرجال إلا بقدر ما يتحملون من شدائد الزمان ومفاجآته القاسية .

ودهش الجميع عندما شاهدوهما يتقدمان نحوهم فقالت وسيلة :

ـ رائع يا سامح . . نجح أخيراً في الخروج به من أزمته .

واستُقبِلا استقبالاً حاراً ، وسرعان ما عادت المياه إلى مجاريها وكأن شيئاً لم يكن . . وسرورهم مع مرور الوقت في تزايد مستمر ، لأن جعفر نسي كل شيء عن هذه الحالة الخانقة الكئيبة التي لازمته . .

قالت نهلة :

ـ ترى هل عاد جعفر ، الذي نعرفه حقيقة ، أم أنه يتظاهر أمامنا بغير ما يعتمل في نفسه ؟ .

نظروا إليها ونظراتهم جميعاً تحمل تمنياً ورجاء . . إن جعفر محبوب منهم جميعاً ، وأي ألم يشعره ، ولا يشاركونه فيه ، يؤلمهم أكثر من ألمه .

* * *

اقتربت لحظة الانصراف ، فهيأوا مظلاتهم ولوازمهم وأوشكوا على المسير، عندما تقدم من ناحيتهم رجل ذو لحية كثة ، يرتدي الملابس الهندية . . كان يسير في طريقه دون أن يلتفت ناحيتهم فقالت نهلة :

ـ يبدو أنه من قارئي الكف . . أعتقد أنني رأيته قبل الآن في مكان ما . .

جمد جعفر في مكانه وقال :

ـ هذا هو ؟ . هذا من باستطاعته تفسير الأمور لي . .

لم يتردد سامح ، وأسرع يعدو نحو الرجل ، واستوقفه قائلاً بلطف :

ـ أرجوك لا تؤاخذني . .

أجابه الرجل بوقار وبإنجليزية سليمة :

ـ لا عليك أيها الفتى . . خيراً . . هل بإمكاني تقديم أي خدمة .

أجابه سامح بالإنجليزية :

ـ لي صديق عزيز يعاني من أمر غريب أثر عليه نفسياً بصورة تدعو إلى القلق . .

كان ينصت إليه برصانة ، ثم سأله بهدوء :

ـ وما مشكلة صديقك ؟

أجابه سامح بأن سرد له كل كلمة قالها جعفر ، وبكل دقة وتفصيل . فكر الرجل برهة ثم قال :

ـ وأين صديقك هذا . .

استدار سامح وهتف منادياً :

ـ جعفر تعال يا جعفر . .

يبدو أن جعفر كان في انتظار هذا النداء ويتوقعه لأنه أسرع إليهما من فوره . .

كان الرجل يرقبه بعينيه الحادتين متفرساً ، ثم قال له :

ـ دعني أرى كفك . . الأيمن أولاً . .

وأمسك الرجل بكف جعفر ، وأخذ يتأمله من عدة زوايا ، ثم أفلت الكف الأيمن ، وأعاد الكرة مع الكف الأيسر ثم ابتسم وقال :

ـ كل شيء على ما يرام .

قال سامح دون مقدمات :

ـ ترى ، هل لسيدي خبرة في تفسير الأحلام .؟ لا أعني كل الأحلام ، ولكن سلسلة من الأحلام أزعجت صديقي طوال الأسبوع .

رفع الرجل وجهه متسائلاً وقال :

ـ إني ملم بها إلماماً جيداً . . ما موضوع حلمك أيها الشاب ؟

أعاد جعفر على مسامعه ما سبق وقاله لسامح ، فابتسم الرجل بهدوء وسأله :

ـ إنه العقل الباطن الذي اختزن الكثير من الحنين ، الذي تحسه لوطنك وأهلك ، خاصة لشقيقتك . . عندما تتراكم في أعماقك ذكريات وحنين ولهفة ، على العقل الباطن أن يخفف من وطأتها بأمثال هذه الأحلام ، وهي أبسط تصرفات العقل الباطن في مثل هذه الظروف .

كانا يصغيان إليه باهتمام فالرجل متحدث بارع وصوته يحمل مع كلماته الثقة لسامعه .

سأله جعفر :

ـ هل يفهم من هذا أن خلاصي من هذه الأحلام قد يأتي إذا ما قمت بزيارة لأهلي ، ورؤية شقيقتي والاطمئنان عليها ؟ .

أشعل الرجل غليونه من قداحة ذهبية ثمينة ثم قال :

ـ تماماً . . سيتخلص عقلك الباطني من كل هذه الضغوط ، التي كرستها مشاعرك . .

لم يطل الرجل فأحنى رأسه باسماً محيياً وتابع طريقه . وبقيا برهة في مكانهما يرقبانه ، حتى تنهد جعفر الذي عاودته روحه المرحة وقال :

ـ سامح . . أعتقد أن الرجل أصدقني تفسير حالتي . .

ضحك سامح قائلاً :

ـ كان مقنعاً في كلماته الرصينة . . المهم أنك عرفت علاجك . . فهيا وأسرع بطلب إجازة ، لن يبخل عليك بها الخفي ، وقم بزيارة أهلك ثم عد إلينا دون أحلام . .

ضحك جعفر وتأبط ساعده كعادته وقال :

ـ هيا بنا من هنا فإني في شوق إلى البحر . .

ومرة أخرى تابعا سيرهما ، دون أن يعرجا في طريقهما على باقي

الجماعة ، الذين لم يحيدوا ببصرهم عنهم لحظة . ولما شاهدوا التبدل الذي طرأ على جعفر قالت فتنة بارتياح :

ـ الحمد لله . . ها هي ابتسامة جعفر تظهر مرة أخرى .

أجابها فيصل :

ـ عسى أن تكون عودة دائمة . .

وبعد فترة وجيزة كانوا جميعاً في الماء ، وقد عاودهم مرحهم السابق ، وبينما هم كذلك توقفت وسيلة عن السباحة فجاة وأشارت لهم بيدها ، فأسرعوا إليها وكانت تجيب الخفي قائلة :

ـ نعم بكامل هيئتنا . . نعم كلنا . . نعم وجعفر .

وبالرغم من صوت الأمواج فقد سمعوا ضحكته ، التي لا يضحكها إلا إن كان في أحسن حالاته ، ثم قال بصوته واضح :

ـ حاولوا أن تعودوا إلى القاعدة . . سأعاود الاتصال بعد ساعة . .

وأنهى المكالمة ، وكانوا كلهم يسبحون حولها ، فقالت فتنة :

ـ ضحكته تدل على أنه في أطيب حال . . ترى ما سر هذه الدعوة السريعة ؟ .

أجابها جعفر باستغراب :

ـ ليس هذا هو السؤال ؟ . لقد سأل عنا كلنا في البداية ، ولما أجابته وسيلة عاد يسأل عني بالذات . . فلماذا ؟ .

قال سامح :

ـ دعونا نعود إلى الشاطىء ، وهناك يمكننا متابعة الحديث غير المثمر هـذا . . دعانـا لنعود وعلينـا أن نكون هنـاك أولاً ، وبعدهـا سنعرف حقيقة ما تخمنون الآن . .

وكسـرب من الأسمـاك ، أسـرعـوا متقـاربـين يسبحـون بـاتجـاه الشـاطىء ، وكانجعفـر في المقدمـة وهو أكثـرهم لهفـة ، لمـرور هـذه الساعة ، ليعلم تفسير هذا السؤال ، وماذا يخبىء لهم الخفي ؟

وعندما غادروا الشاطىء ، بعد برهة ، كانوا متعاقبين في سيرهم ، ومتفرقين جماعات متباعدة ، والمجموعات كلها ساهرة على حـراسة أي مجمـوعة تتعـرض لأي حادث مفـاجىء ، وما أكـثر مـا اعتـرضهم من حوادث . .

ووصلوا سيارة إثر أخرى إلى القاعدة ، وبعد حمـام سريـع اجتمعوا في البهـو ، يشربـون عصير البـرتقـال المثلج ، بـانتـظـار مكـالمـة رقم صفر ، التي لم يتبق لها غير دقائق معدودة .

فجأة جاء صوت الخفي واضحاً هادئاً . . قال :

ـ لعلكم استمتعتم بوقتكم اليوم ؟ . أعلم أنه مرّت بكم مـدة طويلة دون أن يشملكم السرور ، الذي تشعـرون به الآن لخـلاص جعفر من أوهامه . .

اتسعت عيونهم من شدة الذهول ، وقال الخفي متابعاً :

ـ أرهقت أعصابك اسبوعاً كاملاً ، دون أي مبرر ، يـا جعفـر . لـو علمـت حقيقـة الأمر ، من البدايـة ، ما تـرددتلحظة في قـول ما قلته لك على الشاطىء .

قال جعفر متسائلاً بدهشة :

ـ قلته لي . . ؟ لي أنا ؟ .

ضحك رقم صفر وقال :

ـ نعم أنت يا جعفر . أرغمتني حالتك على هذه الخطوة ، فـانتحلت صفة ذلك الرجل لمدة نصف ساعة .

هتف سامح غير مصدق أذنيه :

ـ كنت أنت هـذا الهندي ؟ . يـا إلهي ما أغبـاني . . صدقني كـانت نبرات من صوتك مألوفة عـلى سمعي ، ومع ذلـك ما ذهب تفكيـري أبداً إلى أنك هذا الهندي ، الذي ألقى علينا محاضرة في علم النفس . .

مرة أخرى ضحك الخفي وقال بمرح :

ـ لقـد أرجأت ، بسبب حـالتـك تلك ، مهمـة غـايـة في الخـطورة والأهمية . . نعم . كان وجود جعفر معكم ، في هذه المهمة بالذات ، ضرورياً فقد تكون وجهتكم السودان .

ابتلع جعفـر لعابـه ، بصوت مسمـوع ، وقـال بفـرح لم يحـاول أن يخفيه :

ـ السودان ؟ .

قال الخفي بصوته المسيطر :

ـ نعم إلى السودان ، وربما إلى دولة أخرى مجاورة . . أرأيت أن لوجودك أهمية كبيرة .

سأله جعفر بلهفة :

ـ ومتى الرحيل ؟ .

أجابه الخفي بهدوء :

ـ صبراً يا جعفر . . أعرف مقدار فرحتك ولهفتك ، ولكن عليكم أن تعلموا أولاً ما هي المهمة التي ستذهبون إلى هناك من أجلها . .

وسمعوا صوت القداحة يشعل بها سيجارته . وبعدها قال بلهجة جادة :

ـ خرجت غواصة ذرية من قاعدتها في ميناء ما ، ولن أكشف عن هوية هذه الغواصة لأن الأمر غاية في الخطورة والسرية . وكل ما يهمنا الأن هو العثور عليها ، أو تحديد مكانها ، بعدما انقطعت أخبارها تماماً منذ ثمانية أيام . ولما كانت في مهمة سرية غير معروفة فكان البحث عنها محدوداً غير معلن ، وقد التقطت إحدى السفن التجارية حواراً بينها وبين قاعدة قرب حدود السودان . .

كانوا ينصتون باهتمام وانتباه كبيرين لحديثه ، الذي استرسل فيه قائلاً :

ـ وأمكن تحديد ورصد المكان الذي كانت فيه عندما تمّ هذا الحديث ، وهو في البحر الاحمر ، وعلى مقربة من ميناء بور سودان . . ويرجحون أن الغواصة غرقت في مكان ما في هذه المنطقة ، فقد انقطع عقب حديثها هذا كل اتصال بها .

قال مازن :

ـ وهل لا زال البحث عنها مستمراً بعد مرور ثمانية أيام على غرقها ؟ .

كانت إجابة الخفي أكثر من مذهلة عندما قال :

ـ حتى لو مرت سنة . . لن يتوقف البحث عنها ، ولكن بصفة غير رسمية ، وإن كانت فرق مدربة تعمل الآن ، وبكل طاقتها ، في البحث والتفتيش .

قالت نهلة باستغراب :

ـ سيجدون من فيها موتى بلا شك . .

أجابها الخفي بهدوء مثير :

ـ إن لم يتم العثور عليهم خلال شهرين كاملين ، مع أن الغواصة من أحدث ما صنع من الغواصات الذرية ، مزودة بكل ما استجد من تحسينات ، وبها مخزونٌ هائلٌ من الأوكسيجين لظروف كهذه . . لا خوف على من بداخلها إذا وصلنا إليهم أو وصلت إليهم إحدى فرق الانقاذ خلال هذه الفترة .

كانوا ، بالرغم من اصغائهم باهتمام ، في عجب من هذه المقدمة الطويلة ، واستمر رقم صفر في حديثه المثير قائلاً .

ـ حتى الآن ، وما أمكن الحصول عليه من معلومات زودتني بها جهات لها وزنها ، لنطلق عليها إسم مدام (×) .

إذن فقد أبلغتني مدام (×) أن مهمة الغواصة سر خطير لا يعرفه إلا قلة محدودة ، لا يتجاوز عددها العشرة ، وكل ما عرف عن أفراد طاقمها هو الموضح في إضباراتهم ، وكلهم لا غبار عليهم . . إلا أنه حدث ، وقبل قيام الغواصة برحلتها الأخيرة ، أن عين لها طاقم قيادة جديد هو الذي انطلق بها لإنجاز هذه المهمة . .

وسكت برهة ثم تابع قائلاً :

ـ علينا العثور على هذه الغواصة ، ومد يد المساعدة لمن فيها ، إن كانت قد غرقت ، أو محاولة إنقاذهم من هذه المهمة التي ربما تودي بأرواح أكثر من خمسمائة من جنود الكوماندوس .

سأله سامح :

ـ إذن فالمهمة السرية لها صبغة سياسية أو دولية ، وقد يستعمل فيها السلاح على نطاق واسع .

أجابه رقم صفر :

ـ هذه المعلومات لها مصدرها بدورها . . فمن مصدر آخر علمت هذه التفصيلات . . المطلوب منكم هو الخروج بزورقكم الذري

الطائر ، والذهاب إلى البحر الأحمر . يمكنكم ، تعويضاً للوقت الذي ضاع ، أن تطيروا أثناء الليل ، فتكونوا بمنطقة العمليات في الصباح . . تزوّدوا بأسلحة كثيرة فقد تواجهون بعض المتاعب ، وهي تختلف عن كل ما سبقها ، فقد تواجهون جنوداً نظاميين ، وسيكون الموت هو أول ما يتبادر إلى الأذهان أثناء الاشتباك . إذن فالأمر ، كما وضحت لكم ، خطير جداً ، ويجب أن أترك لكل منكم ، كامل الحرية في إبداء الرأي في قبول الاشتراك في المهمة أو الاعتذار عن تنفيذها ، دون شرح لأسباب هذا الرفض .

ودون تردد قال جعفر :

ـ أنا أول الموافقين .

ضحك الخفي وقال :

ـ أمر بديهي . لذلك لم أضع اسم جعفر في القائمة ، التي أحملها اللحظة في يدي . .

قال سامح :

ـ الأوفر للوقت هو سؤالنا عمن يرغب في عدم الاشتراك فليعلن ذلك ، والآن . .

قال الخفي :

ـ رأي وجيه . . من يرغب في التخلف .

خيّم عليهم الصمت وتبادلوا نظرات متفاهمة فقال الخفي :

ـ هذا ما كنت أتوقعه ، وعلى أساسه دبرت كل شيء . . شكراً لكم يا أولاد ، وأرجو أن أتصل بكم قبل الرحيل . . لا تنسوا أحدث أدوات الغوص فسيكون لها دورها الهام أثناء البحث .

* * *

في البحر الأحمر

كانت الرحلة ، التي بدأت في الثامنة مساء ، رحلة لها طابع خاص ، لذلك أولوها الكثير من الاهتمام ، خاصة في إعداد كل ما يلزمهم لمهمة مقسمة إلى أقسام . . جزء في البحر والأعماق ، وآخر في المدن أو القرى على الأرض ، وحتى احتمال الطيران كان وارداً . لذلك لم يغفلوا شيئاً إلا وتأكدوا من صلاحيته حتى أبسط علب الطعام .

وتحت شعور من الاهتمام الشديد بالمصير الواحد بدأت الرحلة بأطيب الأمنيات من الخفي ، الذي أمر بأن يكون هبوط الزورق الطائر في منطقة حدد خط طولها وعرضها لمازن . . ولحظة الهبوط إلى البحر كانوا جميعاً يقظين يراقبون الظلام من حولهم ، وهنا قالت وسيلة :

ـ لو امتلكت يوماً شركة للطيران لجعلت من مازن كبير طياريها ، أرأيتم كيف تم الهبوط بالرغم من ظلام وارتفاع الأمواج ؟ . كان هبوطه رائعاً . .

تـرك مازن الـزورق الذري الجبـار يسير بتـوجيه آلي ، وأخـذ خريـطة ونشـرها عـلى منضدة أمـام رفاقـه ، وبـدأ يشـير إلى بعض الخـطوط التي حددها له الخفي .

قال سامح :

ـ إذاً ، فالبداية ستكون من رأس حدربة السوداني ، والذي لا يبعـد إلا أميالاً قليلة عن حدود مصر العربية .

سار مازن بالقلم على الخريطة حتى تـوقف عند جبـل اسوتيـريبا ، ثم تابع القلم سيره حتى عاد وتوقف أمام مدينة دلفـو ، وانتهى عند الشـلال الثالث . .

قال جعفر :

ـ كلها قريبة من الحدود المصرية . .

أجابه سامح :

ـ إلى حد ما .

ثم التفت إلى جعفر ضاحكاً وقال :

ـ لكن هذا لا يمنع ، بعد انتهاء المهمة ، أن تذهب لزيارة أهلك . .

ضحك جعفر وأجابه :

ـ تقول أذهب . . وأنتم ؟ . ألن تصحبوني إلى هناك ؟ . سأعـرفكم على هذه الشيطانة السوداء التي كادت تفقدني عقلي .

قالت فتنة :

ـ أنا أول الموافقات .

وتـوالت الموافقـات حتى أيقظهم من هـذا التفـاؤل صـوت رقم صفـر الذي جاء قلقاً متوتراً . قال بلهفة وصوت شبه يائس :

ـ تم العثور على المكان الذي غرقت فيه الغواصة . . وعلى ذلك فتعتبر مهمتكم منتهية . . عودوا أدراجكم إلى القاعدة فلن أغامر بكم في أحراج أفريقيا وغاباتها . .

أجابه سامح بتأدب :

ـ إن كانت المشكلة كلها منحصرة في أخطار الأدغال والأحراش فالأمر ليس بجديد علينا ، خاصة بعد مغـامرة ذلـك الدكتـور التعيس في أدغال الأمازون . . لقد التقينا بأبشع ما في الغابات قاطبة . .

قال الخفي بإصرار :

ـ ومـع ذلك لن ألقي بكم في هذا الأتون من الصراع الذي أتوقع له شـراسة لم تصـادفكم من قبل ، حتى ولا في مغـامرة الأمـازون . سيكون صراعاً حتى الموت يجب أن ينتهي بأن تنتصر إحدى الفئات عـلى الأخرى لتضمن سلامتها . . وربما سلام العـالم بأسـره . . بل ولا أبـالغ إن قلت والبشرية كلها . ؟

قالت فتنة :

ـ ونحن . . ألسنا ضمن هذه البشرية ؟ . طالما أننا أصبحنا على مقربـة من الاحداث فلماذا لانحاول ؟ .

وقال جعفر :

ـ أخشى أن أنضم برأيي إلى رأي فتنة فيفسر ذلك برغبتي بالبقاء في المنطقة طمعاً في زيارة أهلي . .

قال سامح :

ـ إننا على أهبة الاستعداد لمواجهة أي خطر محتمل ، فدعنا نحاول فقد نوفق في المساهمة بهذا العمل ، الذي تخشى علينا منه .

لزم الخفي الصمت بعض الوقت ثم قال :

ـ لن أعطيكم كلمة أخيرة في الحال . يجب أن أتأكد من بعض الأمور وبعدها أتصل بكم مرة أخرى . والآن عليكم أن تخرجوا خارج المياه الإقليمية لكل من مصر والسودان . . ترقبوا مكالمة أخرى .

وانتهت المكالمة . وظلوا بعدها لحظات واجمين لا ينطقون حتى قال مازن ، وهو يعود إلى الخريطة :

ـ عثروا عليها وعلينا الخروج من المياه الإقليمية لمصر والسودان ، ثم هذا الحيز الذي حُدّد بدقة . . إذاً ، نخرج من كل هذا أن الغواصة في مكان ما بين هنا وهناك .

وأشار باصبعه على الخريطة حتى توقف عند نقطة من الشاطىء كتب عليها اسم جلايب . . شمال رأس مدربة . . فقال جعفر :

ـ ولكن . . لم يأت ذكر لجلايب هذه . ؟

أجابه مازن :

ـ صحيح . . ولكنها أقرب مدينة على شاطىء البحر الأحمر من حدود السودان ، كما وأن الأمر لم يصدر بالخروج من المياه السودانية الإقليمية وحدها بل من المياه المصرية كذلك . .

قالت نهلة :

ـ لماذا نضيّع الوقت في جدل لا طائل من ورائه ؟ .

نظروا إليها كلهم بدهشة ، فقالت متابعة :

ـ طالما تم العثور على الغواصة ، فلماذا البحث في أمرها ؟ .

أجابها مازن ، وهو شارد يفكر :

ـ أعتقد أن الأمر لن يخرج عن كون الغواصة ترقد في الأعماق دون أن تتعرض لأي خطر ، ومن هناك تعد لتنفيذ المهمة .

كان تعليقه قريباً من أذهانهم فقد أجابته وسيلة :

ـ خاصة وأن الخفي لم يأتِ على ذكر العثور عليها غارقة .

قال سامح :

ـ على أي حال علينا أن ننتظر حتى تتم المكالمة ، وبعدها سنعرف إن كان بإمكاننا عمل شيء ما .

ابتسم جعفر وقال :

ـ أرى أن معدتي اللعينة عادت للصراخ مطالبة بالطعام .

نظرت فتنة إلى ساعتها وقالت :

ـ وأنا كذلك . . دعونـا نتناول طعـامنا أولاً ، فـلا زال الوقت يسمـح بذلك . .

* * *

ماذا في الغواصة

جلس القائد بين جنوده ، داخل الغواصة الجبارة ، وشرع في شرح المهمة على سبورة سوداء مستعملاً الطباشير في الرسم .

وبعـد أن انتهى من رسم الخـريـطة ، أشـار إلى نقـطة معينـة منهـا وقال :

ـ هذه إحدى النقاط الهامة ، والمرجح مرور القافلة بالقرب منها .

وسكت برهة واجههم خلالها بوجهه الصارم ثم تابع :

ـ إن القافلة مكونة من ثلاث شاحنات ثقيلة ويتقدمها ، ويسـير من خلفها ، عدد من السيارات العسكرية تتولى حراستها . . حتى الآن لم تصلنـا بعد التفصيـلات التي نحتاجهـا قبل التحـرك . سنعرف ذلـك قريباً ، فالأقمار الصناعية تـرصد تحـركات كـل شيء بدقـة متناهيـة ، ومنهـا سنعـرف الاتجـاه الحقيقي الـذي ستسلكـه القـافلة بحمــولتهـا الرهيبة .

قاطعه ضابط شاب أسمر اللون يبدو جلياً أنه من أصل أفريقي :

ـ سيدي . . يمكن احتلال مواقع مناسبة حول مدينة دلفو ، فهذه المنطقة هي مجمع للطرق الذاهبة إلى الشمال ، إلى جمهورية مصر العربية ، أو إلى الشرق ، إلى رأس حدربة على ساحل البحر الأحمر .

أجابه القائد بهدوء :

ـ لقد درست القيادة هذا الاحتمال وقد ننفذه إلا إذا غير الطرف الآخر الطريق بطريق آخر ، أو بدل من طريقة النقل نفسها .

وسكت برهة ثم عاد ليشير على السبورة بأصبعه وقال موضحاً :

ـ إذا ما تركنا مدينة دلفو خلفنا باحتمالاتها الثلاثة التي أشرنا إليها . . ولا بأس من شرح هذا مرة أخرى . . إذا جاءت القافلة من واحد من هذه الطرق ، كما نتوقع ،فستكون والحالة هذه رأس حدربة هي الميناء الذي سيتم منه الشحن . . أما إذا سلكت طريق الشمال فسيكون الهدف هو الوصول إلى نقطة معينة قرب الشلال الثالث ، ومن هناك يتم تهريب الشحنة بطريقة ما ، إما عن طريق الجو بالهبوط بطائرات هيليكوبتر على سفح جبل أسوتيريبا ، أو عن طريق يخترق الصحراء الشرقية ، ومن هناك يتم التسلل بالشحنة عبر الحدود المصرية إلى مدينة جلايب .

أجابه الضابط مرة أخرى :

ـ سيدي . . إن هذا الطريق شاق ووعر ، فإذا اتخذته القافلة

فسيسهل اكتشاف أمرها ، لذلك فأنا أستبعد نهائياً سلوكهم هذا الطريق . .

أجابه القائد برزانة لا تخلو من اهتمام :

ـ كأنك لا تستبعد الاحتمال الأول بدليل أنك لم تتعرض له .

قال الضابط :

ـ هذا صحيح يا سيدي . . خاصة وأن خلف جبل أسوتيريبا سهل رملي يصلح جداً لهبوط الطائرات العادية الضخمة منها والصغيرة .

فرد عليه القائد قائلاً :

ـ إنها معلومات قيمة ولن نغفلها أثناء وضعنا للخطة النهائية . . والآن . . لقد أدركتم جميعاً نوع المهمة التي تنتظرنا ، لذلك أخبركم أن القيادة طلبت إلي ، منذ دقائق ، منع تهريب هذه الشحنة مهما بلغ الثمن . وعليه يجب أن تبقى القوات في حالة تأهب كامل حتى يصدر الأمربالتحرك . .

وحيّاهم القائد باقتضاب وغاب داخل أحد الأبواب ، فقال أحد الجنود لزميله :

ـ ألا تعتقد أن وجهه سيبدو أجمل بكثير لو حاول الابتسام مرة . .

ضحك من سمع من الجنود ، وغادروا قاعة الاجتماع الفسيحة كل إلى مكان عمله .

* * *

الطيران إلى أفريقيا

كان اتصال رقم صفر بعد ذلك بساعات ساورهم خلالها القلق وتوتر الأعصاب ، وكثرت تكهناتهم ومجادلاتهم حتى وضع لها حداً باتصاله المفاجيء .

إذ قال بصوته الجاد :

ـ بطريقة ما ، تم التقاط أوامر القيادة إلى قائد القوة داخل الغواصة ، وهذا يثبت أن الغواصة سليمة لم تغرق ، كما كان يظن . ومعنى هذا أنها ترقد على القاع في انتظار صدور الأوامر فيغادرها رجال الكوماندوس لتنفيذ مهمة ما .

قال مازن :

ـ قد يتم إجلاء الجنود عن الغواصة دون أن تطفو . .

أجابه الخفي :

- احتمال وارد وإن كان ليس له ما يبرره ، فلا خوف من أن تطفو الغواصة أثناء الليل لتفرغ رجالها وزوارقهم المطاطية ، التي تحملهم إلى الشاطىء ، مع كل ما يحتاجونه من عتاد .

سأله سامح :

- كأنهم حتى الآن لا يزالون في مكانهم داخل الغواصة . . لماذا لا نراقب تحركاتهم ونقطع الشك باليقين .

أجابه الخفي :

- جاء في أمر القيادة للقوات بأن تكون متأهبة للنزول إلى الشاطىء في وقت ما بعد منتصف هذه الليلة . . لذلك ، وكما ترون ، لا وقت للبحث والتقصي . . كونوا عندما يقارب الليل من الانتصاف على مقربة من رأس حدربة ، ومن جانبي سأحاول أن أعرف المزيد . . كونوا على استعداد دائم .

وانتهت مكالمة الخفي ، فنهض مازن متجهاً نحو غرفة القيادة ، عندما لمح سهماً نارياً أصفر اللون ينفجر في السماء على بعد عدة كيلومترات من مكانهم .

قال منبهاً :

- أنظروا إلى الأفق من هذا الاتجاه .

وأشار لهم بأصبعه إلى المكان الذي انفجر فيه السهم وقال :

- يخيل إليّ أنني رأيت سهماً أصفر ينطلق من هذا الاتجاه .

لم يكد ينتهي من كلمته حتى لاح سهم آخر أمام أعينهم .

قال سامح :

- لماذا لا نتجه نحو مصدر الأسهم مباشرة ، إنه يعتبر وقت فراغ طالما أننا بانتظار الرسالة التي وعد بها الخفي . .

لاقى اقتراحه إجماعاً ، فأسرع مازن إلى غرفة القيادة بينما أمسك الجميع بمناظيرهم المكبرة ، بانتظار انطلاق سهم جديد ليحدد لهم الطريق .

ولكن سادت فترة صمت دون أن يظهر أي سهم حتى هتفت فتنة :

- إنه سهم أحمر هذه المرة . .

وفي الحال ، عدّل مازن من اتجاه الزورق وأطلق له العنان ، مطفئاً جميع أنواره إلا تلك التي تضيء لهالعدادات المختلفة أمامه .

قال سامح :

- إذا لم تظهر أمامنا أي سفينة أو زورق يصبح أمراً مؤكداً أن هذه الأسهم أطلقت من تحت الماء . .

أجابه جعفر :

- معنى هذا أن الغواصة بولاسيوس . . ترقد على القاع في هذه المنطقة وهذا يسهل علينا مهمتنا .

أجابه فيصل :

ـ إننـا لا نعلم ، حتى الآن ، إن كانت ، ومـا تحمله في جوفهـا من جنـود الكوماندوس، أصـدقاء لنـا أم أعداء . إذا كـانـوا من الأعـداء فالويل لهم منا . .

قالت نهلة محذرة :

ـ لا تتناسوا واقعاً هاماً . . إنهم ، لا شك ، مسلحون تسليحاً قوياً يكفي على الأقل لتدمير سيارات مدرعة ، والطلق الـذي ينال من درع سيارة مدرعة لا شكسيصيب زورقنا بأضراربليغة . .

ابتسم جعفر وقال :

ـ كـلام معقول لـو أنهم أعـدوا أنفسهم لمثـل هـذا الهجـوم . . من المـرجح أنهم سينـطلقون من أحـد المواسـير ، كما يـطلق الـطوربيـد ، ومعنى ذلـك أن كـل أسلحتهم ستكـون مثلهم داخـل حـافـظات من البلاستيك لتقيها الماء . .

قالت وسيلة :

ـ قد تكون على حق في هذا ،والزوارق بدورها ستنطلق مـطوية من الغواصة إلى السطح حيث تفتح أتوماتيكياًاليستقلها الرجال . .

قال جعفر :

ـ وغـالباً ستستعمـل الزوارق لحمـل المعدات بينما يمسك الـرجـال بحبـال الزوارق ويسبحـون إلى الشاطىء . . وهـذا يزيـد من فـرصـة نجاحنا إن قررنا مهاجمتهم .

هدأ مازن من سرعة الزورق ، ثم أوقف المحركـات تمامـاً ، وأشار لهم بيـده ليلزموا الصمت ، وكتب عـلى ورقة دارت عليهم بسـرعـة : « لا شك أننا فوق المكان أو على وشك الوصول إليـه فالـزموا الصمت تماماً » .

استمر زورقهم الذري الحديث يشق الماء بقوة الدفع حتى أصبحت حركته بطيئة للغاية . وفجـأة وبينما كانت وسيلة مستغرقة في نظرها إلى ماء البحر الأسود ، من نافذة زجاجيـة ، إذا بسهم يخرج من الأعمـاق ويتخـذ طريقـه نحو السماء حيث انفجر مـطلقاً شبكـة من الأضـواء الحمراء سرعان ما ابتلعها الظلام . . لم يتحرك أحدهم من مكـانه بـل حاولوا أن يحدوا من صوت تنفسهم . .

وفجأة سمعوا الخفي يقول :

ـ ستكونون عند الميناء ، وعلى بعد ميل واحد من الأرصفـة ، هناك سيلتقي بكم من يصحبكم في هذه المهمة .

أدركـوا أن كلمـاتـه الآن مسجلة في الأعمـاق بـواسـطة الأجهـزة الحساسة ، التي تملكها الغواصات للتصنت في حالة غوصها وتعرضهـا لهجوم مفاجىء . . لذلك قال مازن :

ـ إننـا فوق الغـواصة ، ولا شـك أن حـديثـك وحـديثنـا اللحـظة مسموع لهم . .

ضحك الخفي وقال :

ـ لا تخش من ذلـك فهم أصدقـاء ، وقـد تلتقـون بهم أثنـاء العملية . .

تنفسوا الصعداء وقال جعفر :

ـ يا إلهي . . لو أنهم كانوا أعداء . .

ضحك الخفي وعلّق بهدوء :

ـ حتى لو كانوا من الأعداء . . إن سـرعة زورقكم ، وقـدرته عـلى الطيران في الوقت نفسه، تمكناكم من الابتعاد فوراً عند أي خطر . .

سأله سامح :

ـ والآن ماذا علينا عمله ؟ .

أجابه الخفي :

ـ بعد دراسة الخرائط ، ومراجعة المعلومات عليهـا ، تم التنسيق ، وعليكم أن تتخذوا أماكنكـم عند الشلال الثالث ، فقد تتخـذ القافلة هذا الطريق إذا ما تم الأمر كما أتصور . .

سأله مازن :

ـ هل نهبط في النيل أم نبقي الزورق في البحر الأحمر ؟ .

أجابه الخفي :

ـ بل سيكون الهبوط في بحيرة راكدة بين الأحـراش المحيطة بمنـطقة الشلال الثالث . .

وسكت برهة ثم تابع قائلاً :

ـ الآن راجع المكان على الخريطة يا مازن . .

كان مازن قد فعل واستقر رأس قلم الرصاص على مكـان ما قـرب الشلال ثم قال :

ـ إن المكان واضح جداً . .

أجابه الخفي :

ـ ولكن عليكم الاحتـراس من سكان المنـطقة ، إنهم لا يرحبون بالضيوف كثيراً . .

قال جعفر مصححاً :

ـ لأنهم ليسـوا من السـودان . . إنها قبـائـل بـربـريـة متفـرقـة في الأدغال ، ويتسرب بعضهم من الحـدود إلى جيـران الغـابة . . وهؤلاء الذين تتحدث عنهم من قبيلةتسمى قبيلة تونكا أنجا .

سمعوا صوت الخفي يضحك ويقول :

ـ رائع يا جعفر . . إنك موسوعـة تسعى على قـدمين . . (وسكت برهة) ثم استطرد قائلاً :

ـ ليس لدي ما أزيده عما قاله جعفـر ، وكل مـا يمكن إضافتـه أنهم ميالون إلى الشر ، وهم من المقاتلين شـديـدي المراس خـاصة عنـدما يخرجون للصيد . . أليس كذلك يا جعفر ؟ .

أدرك جعفر ما يعنيه فقال مكملاً :

ـ نعم . . فالصيد المفضل هو الإنسان .

لم تتمالك فتنة روعها فهتفت برعب :

ـ يا إلهي . . هم من أكلة لحوم البشر إذاً . .

تولى الخفي الإجابة فقال موضحاً :

ـ قلنا إنهم قبائل بربرية نازحة من مناطق من الغابات لا زال بعضها مجهولاً إلى يومنا هذا . . المهم أنه أمر لا يعنينا في شيء ، وما عليكم إلا تجنبهم قدر المستطاع ، فإن هاجموكم فلن تعجزوا عن الدفاع عن أنفسكم . .

سأله سامح :

ـ علينا بعد الهبوط أن نسرع إلى الشاطىء ، ونتخذ الأماكن التي نراها مناسبة . .

أجابه الخفي بهدوء :

ـ نعم . على أن تبقى الفتيات في الزورق للدفاع عنه فترة غيابكم . . وإذا تعرضتن لأي هجوم فليكن ردكن رادعاً قوياً .

قال مازن :

ـ سأذهب معهم إلى الشاطىء . .

أجابه الخفي :

ـ لا يا مازن . . بل ستبقى مع الفتيات بالزورق فقد يحتاج الأمر لتصرف سريع .

ظهر الأسف على وجه مازن ، وقال سامح :

ـ وإلى متى نبقى في الانتظار ؟ .

أجابه الخفي :

ـ في اللحظة التي ستتحرك فيها القافلة سنعرف على الفور ، من مراقبة خط سيرها ، أي طريق ستسلك .

وبعد برهة من الصمت سأله جعفر :

ـ وإذا تصادف مرورهم من هذا الطريق ؟ . هل نهاجمهم ؟

أجابه الخفي :

ـ سؤال ستجيب عليه الظروف وحدها . . إن اتخذوا هذا الطريق فلا شك أنهم أعدوا الوسيلة التي سيتم بها نقل هذه الكمية الرهيبة . .

قاطعة سامح :

ـ إن الأمر لا يحتاج لذكاء . فلو اتخذوا طريق الشلال الثالث فلا شك أنهم صرفوا النظر تماماً عن استعمال البحر .

قال الخفي :

ـ وفي هذه الحالة ليس أمامهم إلا طريق من أثنين . . إما بواسطة

الطائرات ، وكما هو واضح فهناك المكان الملائم للهبوط ، أو طريق النيل . .

كانوا يصغون إليه باهتمام شديد وإن أجابه جعفر :

ـ ولكن الملاحة هناك غير مأمونة إلا بعد الشلال الثاني . .

أجابه الخفي :

ـ أعرف هذا ، ونحن لا نستطيع الجزم فإنه مجرد احتمال يجب أن ندرجه في حسابنا .

سادهم الصمت فقال الخفي :

ـ اعتمدوا على أنفسكم ، فإن اتصالي بكم ربما نبّه أجهزتهم إلى وجودنا ، وبالتالي إلى المكان الذي صدر منه الحديث . . ومع ذلك سنرى . . هل من أسئلة ؟ .

أجمعوا على الصمت فقال الخفي :

ـ الآن إلى اللقاء ، وكونوا حذرين يقظين . . المهم هو عدم وقوع هذه الكمية في يد الأعداء . . أتمنى لكم التوفيق .

وانتهى الخفي من حديثه فقال سامح :

ـ علينا أن نرحل فوراً حتى نتمكن ، قبل بزوغ الفجر ، من اختيار أماكن مناسبة . .

وفي صمت وهدوء اتخذ كل منهم مكانه ، وأغلق مازن كل نوافذ

الزورق أوتوماتيكياً ، استعداداً للطيران . وخلال لحظات كان زورقهم الطائر يحلق في السماء ويسير كالسهم متجهاً نحو هدفه .

كانت الرحلة قصيرة ، فقد لاحت لهم البحيرة قاتمة إلا من بصيص ضعيف صادر من انعكاس أشعة النجوم البعيدة .

وببراعة فائقة استقر مازن على سطح البحيرة الراكد ، ثم أوقف المحرك ، وساد الصمت إلا من صوت أزير خافت عندما فتح مازن أبواب الزورق .

كانوا جميعاً يقفون متجاورين ينظرون إلى الظلام حولهم ، ويحاولون تمييز معالم المكان . . قال سامح :

ـ سنستقل ثلاث زوارق مطاطية ، ولن نستعمل محركات الوقود فصوتها سيكشف عن وجودنا ، وينبه كل من يسمعه إلى مكاننا . . إن المحركات الكهربائية معدومة الصوت تماماً وإن كانت أقل سرعة .

أجابه مازن :

ـ فلنعدها إذن ونزودها بكل ما ستحملون معكم من أسلحة وطعام . .

وانصرفت الفتيات كل إلى جهة ليعدن ويتجمعن على السطح حيث تضع كل منهن حمولتها . . كان العمل يتم بيسر وسهولة ونظام دقيق ، فلكل منهم مهمة تخصّص لها، وعمل عليه تنفيذه . لذلك لم تمر إلا دقائق حتى كانت الزوارق الثلاثة على أهبة الاستعداد . .

قال جعفر مازحاً :

ـ وإن كانت الطبيعة قد زودتني برداء أسود ، يغنيني عن لبس هـذا الرداء المطاطي ، إلا أنني سأجاملكم وأرتديه مثلكم .

كانت أعصابهم هادئة وكأنهم في طريقهم إلى نزهة . وبعـد أن أتموا ارتداء ملابسهم المطاطية هبطوا إلى الزوارق الثـلاثة ، ومـازن يتأملهم بشيء من الضيق . . وتحـركت الزوارق واحـداً بعد الآخـر ، دون أن يصدر عنها أدنى صوت ، حتى ابتلعها الظلام ، فقال مازن لمن بقي معه :

ـ الأسلم لنـا إغلاق جميـع منافـذ الزورق حتى لا نؤخـذ غـدراً . . وهذا لا يمنع أن تكون أسلحتنا في متناول أيدينا .

* * *

مجابهة في الغابة

لمس أول القـوارب الشـاطىء بـرفق ، فغـادره ركـابـه وحملوه معهم وقاموا بإفراغه من الهواء . . وعندما لحق بـه الزورق الثـاني لم يستغرق إفراغه وطيه إلا ثوان . ولكن الزورق الثالث لم يظهر فانتابهم القلق ، وأخذوا يراقبون ماء البحيرة الصامت الغارق في الظلام .

قال بومدين بقلق :

ـ هل سنقف هكذا ولا نفتش عن سبب تأخرهم . .

ولكن صـوت جعفر جـاءه من خلفه ، وكـان يتولى قيـادة الـزورق الثالث . . التفتوا إليه كلهم دهشين للمفاجأة ، وسأله سامح :

ـ من أين أتيت ؟ .

كان جعفر غاضباً يرتعد من شدة الانفعال عندما قال :

ـ هاجمونا وقد أصابوا الزورق عدة إصابات مما اضطرنا للسباحة . .

سأله سامح : أين فيصل وأحمد ؟

أشار إلى يمينه وقال :

- إنهما إلى جوار المعدات ، ونحمد الله على أننا لم نفقد منها قطعة واحدة . .

قال سامح :

- إذن فلنذهب إليهما . . ولكن أليس من المحتمل أن يهاجمونا هنا . .

كان جعفر يمسك مسدسه بيده ، ويحدق بعينيه الحادتين في الظلام المحيط بهم ، عندما قال :

- بل هذا هو المرجح . . لذلك أرى أن نسرع إليهما لنكون جميعاً في مكان واحد .

وبهدوء وخفة أسرعوا ، يتقدمهم جعفر ، وكانوا كقطعة من الليل الذي يلف الكون بظلامه . . وعندما اقتربوا من المكان كان على جعفر أن ينبههما إلى اقترابهم . ولكن أموراً عفوية تحدث فجأة ودون إعداد مسبق ، وتكون لها نتائج غير متوقعة أو منتظرة .

وهذا ما حدث فعلاً . فقد تناهت إلى آذان فيصل أصوات اقترابهم ، فأمسك بساعد أحمد وضغطها وشهرا مسدسيهما . .

ألصق أحمد فمه بأذن فيصل وهمس :

- بعضهم قادم من هذا الاتجاه . . لا تتح لهم فرصة ، ولنطلق معاً . .

ولاح جعفر ، واقتربت الخطوات ، وحدث ما غيّر كل شيء دون سابق إنذار . . انطلق ، من تحت أقدام جعفر ، طائر ليلي وارتفع عمودياً ، حتى مس ريشه وجه جعفر فتراجع برأسه ، بحركة لا شعورية ، عندما سقط الشعاع القاتل على بعد ٥ سنتيمترات من وجهه .

فصرخ جعفر محذراً :

- فيصل . . . . إنتبه يا فيصل .

أجابه فيصل بصرخة هلع ورعب :

- جعفر . . يا إلهي . . لماذا لم تنبهنا أنك أنت القادم .

كان وجه جعفر ممتقعاً ، وهو يحاول السيطرة على أعصابه التي اهتزت بعنف ، حتى عندما وصلا إليه ولحق به الآخرون . .

هتف سامح مؤنباً :

- إنه خطؤك أنت يا جعفر . . لو كنت مكان فيصل وأحمد لفعلت مثلهما . .

تنهد جعفر ، ومسح العرق البارد الذي تصبب من جبينه وقال :

- يا إلهي . . كان أمراً رهيباً . .

قال فيصل ، وهو يضمه بساعده :

- آسف يا جعفر . . آسف جداً . .

أجابه محاولاً الابتسام :

ـ دعنا الآن من أسفك ، ولنستعد للقاء من يستحقون هذا الاستقبال الرائع . .

وأشار إلى الفجوة التي أحدثتها الأشعة الرهيبة ، فقال فيصل :

ـ حمداً لله . . قدرّ ولطف .

أمسك بومدين بساعده وهمس :

ـ أنصتوا . . ألا تسمعون شيئاً . . استلقوا على وجوهكم .

وكونوا دائرة التقت في منتصفها أقدامهم ، بحيث أصبحت كل الاتجاهات مكشوفة لهم . . وصدق بومدين فقد بدأ الصوت يعلو شيئاً فشيئاً . . إنه صوت محرك ومصدره البحيرة لا الطريق .

وشيئاً فشيئاً لاح ضوء زورق يتقدم ببطء شديد ، فلما أصبح أمامهم اتضحت حقيقته لهم . .

كان الزورق يسحب خلفه مقطورتين . وكان واضحاً أن ما تحمله يشكل ثقلاً على محرك الزورق . .

كانوا جميعاً قد عدّلوا من وضعهم وأصبحوا صفاً واحداً متجاورين .

همس سامح :

ـ يبدو أنهم سيرسون بالقرب منا . .

وكان ما تكهّن به .

فقد اتجه الزورق ، بمقدمته ، نحو شاطىء البحيرة ، وقفز منه رجل يمسك حبلاً ثبته على عجل في أول جذع شجرة صادفه ، ثم تحدث بلغة أجنبية فلحق به ثلاثة من رفاقه . وقفز شبح آخر من المقطورة الأولى ، وكان يحمل بدوره حبلاً ، وتعاونوا فسحبوا المقطورة الى الشاطىء ، ثم ألحقوا بها المقطورة الثانية . .

وعندما تجمع كل من في تلك القافلة البحرية الصغيرة . بعد ذلك تبين أن عددهم عشرة أشخاص .

وحملوا مصباحاً غازياً وضعوه على العشب ، وأعدوا لأنفسهم مكاناً ، وجلسوا حلقة يتوسطها المصباح القوي . .

وقدّر جعفر المسافة الفاصلة ، بين مكانهم ومكان الرجال الجالسين إلى قربهم ، بثلاثين متراً ، فهمس بصوت يُسمع بصعوبة :

لا شك أن لوجودهم هنا صلة بمهمتنا ، فهذه البحيرة غير مطروقة ولا سفن فيها أو زوارق .

أجابه فيصل :

ـ علينا بالتزام أماكننا حتى نرى ما سيكون . .

سأله سامح :

ـ بأي لغة يتحدثون ؟ . يخيل اليّ أنني سمعت بضع كلمات عبرية .

قال فيصل ، وقد استبد به الغضب :

ـ يهود . . دعونا نهاجمهم . .

أجابه سامح :

ـ ولماذ نهاجمهم دون أن نتأكد أولاً من هويتهم ، ونعرف سبب حضورهم ، وماذا يحملون . .

ومرت بضع دقائق لعلع بعدها صوت الرصاص ، وتعالت صرخات الرجال ، وسقط بعضهم قرب المصباح .

هتف سامح :

ـ احترسوا . يبدو أن الهجوم وقع عليهم بدلاً منا .

واتضحت صورة المعركة ، وظهرت أشباح سوداء بأعداد كبيرة . كان صوت أقدامهم العارية يحطم الحشائش اليابسة فيدل على مكانهم . ويبدو أن أثر وقع المفاجأة زال سريعاً بدليل هذه النيران التي أطلقوها من رشاشاتهم ، وفي كل اتجاه دون تمييز ، وأصوات المهاجمين وصرخاتهم يثير الرعب في النفوس أكثر من سهامهم القصيرة . .

ودارت معركة رهيبة ، وفجأة ساد الصمت ، ولف المكان سكون مريب . . كانوا يراقبون ركاب الزورق أو المتبقين منهم بحذر . وبعد قليل صدر أمر من أحدهم فهبوا جميعهم ، وقفزوا إلى زورقهم .

قال جعفر :

ـ لقد أحسنوا صنعاً ، فلو ظلوا في مكانهم ما استطاعوا مواجهة الهجوم الثاني .

سأله بومدين :

ـ ولكن ما فائدة احتمائهم بالزورق . . فالمهاجمون سيهاجمونه أيضاً ، وربما أحرقوه . .

قال سامح :

ـ يجب أن ننضم إليهم وفي الحال . .

هتف به فيصل مستنكراً :

ـ ولكنهم يهود . . صهاينة . .

أجابه بحزم :

ـ لسنا متأكدين من ذلك ، ولا نعلم إن كانوا يهوداً أو هي لغة اختلط عليّ فهمها . . الأمر الوحيد هو أنهم بشر ، وفي محنة .

قال جعفر بهدوء :

ـ لا يا سامح . . لو اقتربنا من الزورق سينصب علينا الموت من الأمام برصاص المدافعين ، ومن الخلف بسهام هؤلاء الوحوش . . لو أنني مكانهم لتوغلت بالزورق داخل البحيرة حتى يصبح الدفاع فعالاً ومركزاً على كل زورق معادٍ يظهر .

وكما توقفت المعركة فجأة عادت كذلك فجأة . وانهالت السهام على الزورق ولعلع رصاص المدافعين ، ولكن ليس بالغزارة التي استقبلوهم بها ، مما يدل على أن بعضهم قد أصيب أو قتل .

وارتفعت الصيحات الهستيرية وصرخات الزنوج وهم يضيقون عليهم الخناق ، فقال جعفر :

ـ يمكننا مساعدتهم من مكاننا هذا . . دعونا نطلق معاً ، بحيث نغطي بالأشعة أكبر مساحة ممكنة .

وفي شبه مروحة صوَّبوا على ارتفاع قامة الرجل ، وعندما هتف سامح :

ـ الآن . .

كانت ضغطة خفيفة على الأزندة ، ولكنها كانت كافية لإشاعة الرعب والذعر في الزنوج وركاب الزورق على السواء . . كان مشهداً رهيباً ، فقد أحدثت في صفوف المهاجمين فجوة من الأشعة المدمرة ، سقط على أثرها عدد كبير منهم دفعة واحدة ، وأصوات صرخاتهم المذعورة تعلو معبرة عن الألم الشديد .

وقال سامح :

ـ مرة أخرى . . انحرفوا يميناً . . والآن هيا . .

ومرة أخرى ، تكرر المشهد الرهيب ، وسمع على أثره صوت الأقدام العارية وهي تعدو في فوضى ، وفي كل اتجاه . . أما ركاب الزورق فلزموا الصمت مبهورين . وبعد لحظات سمع صوت المحرك . . واستدار الزورق ، دون المقطورتين ، بعد أن قطع أحدهم الحبل الذي يربطه بهما ، وتوغل مسرعاً داخل البحيرة .

تنفس فيصل الهواء عميقاً وقال متسائلاً :

ـ والآن ؟ .

أجابه سامح :

ـ دعونا نتسلل إلى المقطورة الأولى لنرى ماذا تحمل . . إن الامر مريب ، وربما تعرفنا على جنسيتهم . .

سأله بومدين :

ـ وماذا لو عاودوا الهجوم ؟ .

أجابه جعفر بثقة :

ـ لن يفعلوا . . لقد ولوا الأدبار صارخين ، ولكن أحداً منكم لم يعرف ماذا كانت آخر كلماتهم .

وبالرغم من الموقف ابتسم عن أسنان ناصعة وتابع :

ـ كانوا يرددون كلمة الأرواح . . ظنوا أن الأرواح هي التي فتكت بهم . لهذا يصعب الآن ، حتى على ساحر القبيلة ، السيطرة عليهم . . أنا واثق تماماً أنهم يجدّون في هربهم بعيداً عن المكان .

زحف سامح متقدماً وقال :

ـ ومع ذلك دعونا نصل إلى هناك زحفاً . .

ووصلوا في زحفهم إلى المصباح الذي ظل في مكانه ليفضح بنوره المجزرة الرهيبة ، والمشهد البشع الذي خلفته الأشعة القاتلة .

وعثـروا عـلى جثث أربعــة من رجـال الــزورق ، وبسـرعــة تم تفتيشهم ، واستولوا عـلى ما معهم من أوراق ، وواصلوا زحفهم حتى أصبحـوا على بعـد خطوات من أولى المقـطورتين . وهبـوا من مكانهم وقفزوا بخفة فاعتلوا المقطورة واستداروا بوجوههم متأهبـين ، ولكن لم يكن هناك أثر لأي مهاجم من الزنوج .

أخرج سامـح مصباحـه الصغير ، وما أن سقط الضوء على أول ورقة حتى هتف :

ـ يا إلهي . . إنهم صهاينة ، وهذه أوراق رائـد في سلاح المهندسين في الجيش الإسرائيلي . .

وبسـرعة فحصـوا باقي الأوراق ، وكـانت كلها متشـابهة من حيث الانتساب للجيش الاسرائيلي .

قال جعفر بدهشة :

ـ ولكن ماذا جاءوا يفعلون هنا .

وفجأة قالها فيصل :

ـ إنهم خلف شحنة اليورانيوم . . ألم يسرقـوا عدة أطنـان في عملية قرصنة ظلت خفية حتى انكشف أمرها بعد سنوات .

رفع جعفر الغطاء عن حمولة المقطورة ، وسلط سامح نور مصباحـه فإذا بهم أمام صناديق غريبـة الصورة . كـانت صغيرة الحجم ، ولكن ما أن حاول جعفر رفع واحد منها حتى شعر بثقلها الغريب . .

قال سامح ، وهو يفحص واحداً منها :

ـ إن بها كمية . .

وكف عن الحديث فجأة وقال :

ـ أصبـح الشك يقينـاً الآن . . إنها معـدة خصيصـاً لتحمـل مـواد مشعة .

قال أحمد :

ـ إنها ثقيلة جداً بالرغم من صغر حجمها . .

أجابه فيصل :

ـ ثقلها يرجع إلى الرصاص المصبوب داخلها .

كان سامح غارقاً في التفكير . . إن أمر الصناديق وتواجدها في هذا المكان ، يدل على أن الصهاينة خلف العملية كلها . ولكن وماذا بعـد أن أحضـروا هذه الصنـاديق . ؟ إنها فـارغـة فهـل سيقـومـون بتعبئتهـا هنا ؟ . وإذا فعلوا فإلى أين سيذهبون بها ؟ . كلها كـانت أسئلة يزدحم بها رأسه دون أن يعرف لها جواباً ، حتى قال أحمد :

ـ ترى كيف وصل الملاعين إلى هنا . .

أجابه جعفر :

ـ بطائرة لا شك . .

وقال بومدين :

ـ وربما أسقطوهم من هيليكوبتر . .

برقت عينا جعفر وقال :

ـ وجدتها يا بومدين . . لقد حضروا كما تخيلت في هيليكوبتر ، ولا شك أنها طائرة ضخمة حتى تحمل كل هذه الحمولة . .

التفت إليه سامح وقال :

ـ أتعني أن الطائرة في مكان ما قرب البحيرة .

أمسك سامح بالمطاط الذي صنعت منه المقطورة وقال :

ـ مطاط !! إنها بدورها جاءت محمولة . . إنه مطاط من نوع لا يتمزق . . هذا يؤكد نظريتك يا جعفر . . ولا شك أن الزورق اتجه إلى مكانها بركابه المذعورين .

أجابه بقلق :

ـ لقد أصابهم الذعر عندما صببنا أشعتنا على الزنوج ، وأخشى أن يكونوا قد تنبهوا إلى ذلك خاصة وكلهم أخصائيون في هذا اللون من الأسلحة . .

انتقل قلقه إليهم جميعاً . . إنه على حق ، فلو لم يتنبهوا إلى حقيقة أسلحتهم لما هربوا على تلك الصورة .

وقبل أن يزيدوا ، سمعوا صوت هدير ، فالتفتوا نحو الأحراش ، حيث ظهرت أنوار لعدة سيارات تتقدم نحو شاطىء البحيرة .

هتف سامح :

ـ القافلة . . أسرعوا من هنا . .

وبسرعة البرق تواروا بين الأحراش ، وعيونهم تراقب القافلة التي اقتربت ، وبدأت تظهر لهم بوضوح مع خيوط الفجر الأولى .

وعلى بعد مائة متر من مكانهم ، توقفت سيارات الحراسة الأربع ، وتقدمت الشاحنتان نحو الشاطىء . . وشاهدوا قرب كل شاحنة ثلاثة رجال غادروا سيارات الحراسة ، واتجهوا نحو الشاطىء أيضاً .

همس سامح :

ـ إن عدد الحرس يزيد عن الأربعين جندياً .

أجابه فيصل :

ـ ومسلحون تسليحاً قوياً . .

قال جعفر ، الذي نجح في المراقبة بمنظاره الذي احتفظ به متدلياً من عنقه .

ـ إنهم في حيرة من أمر الفجوة ، التي أحدثتها الأشعة ، ومن عدد القتلى الكبير بين الزنوج .

أجابه أحمد ، وكان رابضاً في أقصى اليمين :

ـ لقد أنزلوا رشاشات ثقيلة من سيارات الحراسة وهم يعدونها للعمل . .

وفجأة أشار أحدهم بيده ، فوضع الجنود أسلحتهم جانباً ، وأسرعوا في افراغ حمولة الشاحنتين ، وكانت صناديق جديدة صغيرة الحجم ، ومع ذلك كان واضحاً أنها ثقيلة الوزن .

همس سامح :

- إنها مشابهة لحمولة المقطورتين في شكلها وثقلها وإن كانت أصغر كثيراً . .

أجابه فيصل :

- وسنجد أنها ، وبحجمها هذا ، ستوضع داخل الفجوة ، التي بداخل كل صندوق . .

هتف جعفر بإعجاب :

- رائع يا فيصل . . رائع . .

تساءل بومدين :

- وبعد أن يودعوها تلك الصناديق . . ؟ أنظروا . . إنهم فعلاً يفعلون . .

كان الجنود قد انقسموا إلى فريقين : أحدهما صعد إلى المقطورة الضخمة ، والفريق الآخر حمل الصناديق من الشاحنات . وبدأت عملية منسقة تماماً : إذ كان أحد جنود الفريق الأول يفتح صندوقاً ويضع بداخله صندوقاً صغيراً ، مما حملته الشاحنات ، ثم يغلقه ،

لينتقل الى صندوق جديد ، بينما انهمك جنود الفريق الثاني بنقل الصناديق الصغيرة من الشاحنات إلى المقطورة .

تساءل سامح :

- وماذا بعد أن ينتهوا . . ؟ كيف تتحرك المقطورتان دون الزورق الذي هرب ؟ . .

ودامت العملية ساعتين كاملتين حتى تم نقل كل ما حوت الشاحنتين ، فقال جعفر :

- الآن وجب التحرك . . دعونا نسرع لنقطع عليهم الطريق . .

وتسلّلوا مبتعدين بهدوء ، حتى حجبتهم الحشائش العالية عن الانظار ، وأسرعوا يعدون بكل قوتهم ، وبعد نصف دورة حول المكان ، شاهدوا آثار عجلات القافلة ظاهرة على الارض . . تلفت جعفر حوله وقال :

- سيعودون أدراجهم من هنا بعد تفريغ الشحنة ، إنه المكان المناسب ، فهو الوحيد الذي يخترق الغابة . . سنفترق على الجانبين ، وبمسافة يكون فيها أولنا عند أول القافلة والأخير في مؤخرتها .

قال فيصل :

- هل قررتم مهاجمة القافلة . .

أجابه جعفر :

- سنتحاشى القتل ، ويكفي أن نأسرهم ونحطم أسلحتهم . .

عندما تصبح أولى سيارات الحرس ، أمام الكمين الأول ، نعطل السيارة ونقضي على ما فيها من أسلحة ، فيتعطل سير القافلة حتماً ، ونفعل الشيء نفسه مع السيارة الأخيرة فتصبح القوة كلها في قبضتنا .

قال بومدين :

- وبعد أن نفعل ويتم لنا أسرهم . . ماذا نفعل بهذه الشحنة الرهيبة ؟ .

بدت الحيرة على وجه سامح برهة ثم قال :

- نتركها حيث هي ، ونسرع إلى زورقنا فربما يمكننا الاتصال بالخفي لنخبره بما انتهى إليه الأمر .

لم يتح لهم صوت محركات سيارات القافلة فرصة أطول ، لذلك أسرعوا وكمنوا على جانبي الطريق ، وكان جعفر في الكمين الأول الذي سيتولى تدمير أولى سيارات القافلة .

واقتربت القافلة ، وكانت تسير بسرعة بطيئة ، فالطريق غير ممهد ، وأشجار الغابة الكثيفة حجبت أشعة الشمس بحيث بدا المكان وكأنه غارق فيما يشبه الظلام .

ومرت القافلة حتى وصلت أولى سياراتها في المقدمة إلى كمين جعفر ، الذي يرافقه فيصل وأحمد ، فأطلقوا الدفعة الأولى من الأشعة على عجلاتها أولاً ، ثم على ذلك الرشاش الثقيل المنصوب فوق غرفة القيادة .

توقفت القافلة وقفز حراسها إلى الأرض ، مذعورين يشاهدون ما يحدث ولا يعرفون من أين ينزل بهم هذا البلاء ، حتى إذا ما تعطلت آخر السيارات أحكم سامح التسديد وأذاب رشاش أحد الجنود ، وهو في يده ، بحزمة من أشعة اللايزر وجهها إليه ، فصرخ وألقى الرشاش المنصهر إلى الأرض .

ولدهشة الجميع شاهدوا جعفر يبرز من مكانه ، ماداً يده بمسدسه ، ويصرخ بصوت مرتفع مسموع ، وكان حديثه باللهجة السودانية .

- إعلموا أن أي طلق ناري يطلق من جانبكم سيكون فيه القضاء عليكم جميعاً . . أنظروا جميعاً إلى هذه الشاحنة .

وبضغطة خفيفة أذابت الأشعة ، التي انطلقت من مسدسه ، جزءاً من السيارة واندلعت فيها النار .

عاد جعفر إلى حديثه فقال :

- لقدشاهدتم مدى قوة أسلحتنا ، لذلك أنصحكم جميعاً بإلقاء السلاح حتى تأمنوا على حياتكم . .

ثم وجه مسدسه إلى شاحنة ثانية وحطمها أيضاً ، فكان ذلك كافياً كي يسرع الجميع بإلقاء أسلحتهم ، في المكان الذي حدده لهم جعفر . وهنا ظهروا جميعاً وأحاطوهم من كل جانب ، وبدأت عملية تقييدهم بإحكام وسرعة .

ولما انتهوا من تقييدهم قال جعفر :

ـ الآن فلنسرع إلى زورقنا ، فهو أملنا الوحيد للاتصال بالخفي . .

وعادوا إلى الزورقين المطاطيين الصغيرين ، اللذين تركاهما على الشاطىء ، وزودوهمابقذيفتين من الهواء المضغوط . . وفجّروا القذيفة الأولى فامتلأ الزورق بالهواء ، وتلوه بالزورقالآخر ، ثم تكدسوا فيهما وعادوا أدراجهم نحو زورقهم الذري الطائر، الذي كان يربض خلف تلك الأشجار العالية ، المتدلية فروعها على البحيرة ، فكانت له مخبأ أخفاه تماماً عن الأنظار .

* * *

فرحة النصر

لم يتصل الخفي طوال هذه المدة حتى أصابهم القلق والملل ، فقال مازن بعصبية :

ـ إن هذا مرهق جداً لأعصابنا . . هل سنبقى في مكاننا لا نحرك ساكناً ، ونحن نجهل ما يجري ؟ .

والتفت إلى وسيلة وقال :

ـ وسيلة . . حاولي أن تتصلي به . . يجب أن يزودنا ببعض المعلومات ، إن كان قد تجمع لديه بعضها .

ولكن فتنة هتفت من مكانها بفرح :

ـ لقد عادوا . . أنظروا إلى هناك .

أسرعوا إلى مكانها ، وتبينوا صدق قولها ، ولكن نهلة لفتت أنظارهم إلى أن الزورق الثالث ليس موجوداً ، إذ قالت :

ـ لقد تخلّف أحدالزوارق . .

وعندما ازداد الزورقان المطاطيان قرباً وضحت لهم الحقيقة ، لقد عادوا جميعاً في زورقين .

وكان اللقاء حاراً ، ودخلوا جميعاً إلى زورقهم وجلسوا مرهقين ، فقال جعفر :

ـ قبل أي سؤال أسعفونا ببعض القهوة الساخنة . .

قالت وسيلة :

ـ حالاً . .

أجابها سامح :

ـ دعونا من القهوة الآن وحاولي أن تتصلي بالخفي . . هل لديك موجه يمكنك أن تتصلي به عن طريقها ؟ .

أجابته وسيلة بتردد :

ـ ولكنه طلب عدم الاتصال به خشية . .

قاطعها سامح قائلاً :

ـ إن الأمر يختلف تماماً عندما يعلم ما لدينا من معلومات . حاولي وأنا الذي سيجيبه . .

وتم الاتصال ، وجاء صوت الخفي غاضباً يقول :

ـ ألم أطلب عدم الاتصال بي . .

أجابه سامح :

ـ نعم . ولكن يجب أن نعرف ماذا نفعل . . إن قوة الحرس بكاملها وقعت في أسرنا ، والحمولة كلها معبأة في صناديقها ، فماذا نفعل بها ؟ .

لأول مرة سمعوا صوت الخفي مهتزاً ، من شدة الدهشة ، وهو يقول :

ـ ماذا قلت ؟ . أسرتم قوة الحرس ، والشحنة في أيديكم . .

أجابه سامح :

ـ نعم . ولذلك يجب أن نسرع بالتصرف ، فقد هرب بعض الصهاينة في الزورق الذي يسحب المقطورتين .

سأله الخفي :

ـ ولماذا هربوا ؟ . هل هاجمتموهم ؟ .

أجابه سامح :

ـ بل حاولنا مساعدتهم لرد هجوم المتوحشين . .

قال الخفي بعد برهة :

ـ سأتصل بكم خلال دقائق ، ولكن عليكم اتخاذ كافة الاحتياطات ، فلا شك أن العدو في مكان ما بالقرب من مكانكم . .

توقّعوا الهجوم عليكم في كل لحظة . . إستعدوا للدفاع بكل ما تملكون من أسلحة .

وانتهت مكالمة الخفي ، فقال مازن :

ـ سنستعد على الفور . .

وبنظام بديع ، سبق الإعداد له ، اتخذ كل منهم مكانه الخاص خلف سلاحه الحديث ، الذي يعمل بأشعة لايزر ، والذي يعتبر أحدث ما توصل إليه العلم في ميدان الأسلحة .

ودون أدنى صوت شاهدوا زورقاً مطاطياً كبيراً ، وبه حشد من الرجال المسلحين بالرشاشات ، يتجه نحوهم مسرعاً . . أرسل إليهم مازن إشارة ضوئية ليقفوا، ولكنهم لم يبالوا بها واستمروا في تقدمهم . وهنا وأمام مقدمة الزورق المهاجم تماماً حدث ما أذهل الصهاينة . . لقد انفتحت في الماء شبه دائرة يفور فيها الماء ويتصاعد منها البخار ، مما سبب ذعراً وارتباكا لدى الأعداء ، ومع ذلك لم يرتدعوا واستمروا في تقدمهم . وهنا جاء صوت الخفي الغاضب يقول :

ـ ماذا تنتظرون . . أقضوا على الجرذان . .

لم يكن الأمر بحاجة لأكثر من واحد منهم ، فقد أصابت الأشعة مقدمة الزورق وأعطبته ، ثم أُلحق بها المحرك ، الذي ذاب بين نظرات الذعر والخوف ، التي تطل من عيونهم الجاحظة من شدة

الرعب . وبدأ الزورق يغوص فأسرعوا بإلقاء أنفسهم في الماء ، علّهم يسبحون إلى الشاطىء القريب ، ولكنهم لم يضعوا في حسابهم ذاك العدو الرهيب ، الذي كان يترقبهم بعيون ملتهبة ويترصد حركاتهم . . فما كادوا يسبحون بضعة أمتار حتى وقع الهجوم البشع . . كان سرباً من التماسيح الضخمة ينقض على الغنيمة ، ويصبغ بدماء أفرادها الماء بلون أحمر قانٍ .

أغمضوا أعينهم تقززاً ، وحجبت فتنة عينيها براحتها الصغيرة وقالت :

ـ يا إلهي ، ما أبشع هذا . .

أجابها صوت الخفي :

ـ لقد وفروا عليكم مهمة قتلهم . . أهنئكم قبل كل شيء على ما قمتم به . لقد وصلت قوات الكوماندوس ، في الوقت المناسب ، لتستولي على شحنة الزورقين .

تنهدت نهلة بارتياح وقالت :

ـ معنى هذا أن المهمة انتهت . .

أجابها ضاحكاً :

ـ نعم . ولكن لا زالت أمامكم مهمة أخرى في القارة السوداء .

ضحك جعفر ، في الوقت الذي تبادل فيه الآخرون نظرات الدهشة ، وقال :

ـ شكراً لك يا سيدي . . إنك لا زلت تذكر وعدك . .

هتفوا بمرح ، وقال فيصل :

ـ توكلنا على الله . . إلى السودان إذن .

* * *

« تمت »

سلسلة المغامرين الـ ١٣

وهـذه مجمـوعـــة أخـرى من قصص الفتيـــان ، تفخـــر « دار النفـــائس » بوضعها في متناول أيديهم .

إنها قصص « بوليسية » مثيرة . يلعب فيها الخيال دوراً بارزاً . وينتصر فيها العـدل على الـظلم ، والقانـون عـلى المجرمين .

في قصتنـا هذه نعـتَّزُ بالمحـافـظة عـلى العـرض الأدبي الممتـع ، والاهتمـــام بالخلق الرفيع ، والشهامة العربيـة ، والشجاعة الأصيلة ، عسى أن يستفيد منها الجيل الجديد .

